بُنيتي...رسائل محبة وشفقة

كتبه / فهد بن عبدالعزيز بن عبدالله الشويرخ

حقوق الطبع والنشر لكل مسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إلى بُنيتي وفلذة كبدي

إلى مُهجة عيني وقرة فؤادي

إلى من أعزها الله بالإسلام، وكانت من قبله من سقط المتاع

إلى من عدَّ الإسلام تربيتها والصبر عليها من أسباب دخول الجنان والنجاة من النيران

إلى من جعل الإسلام من قُتِلَ دفاعاً عنها من الشهداء

إلى من يتنافس من ينتسبون للإسلام لحفظها من كيد الفجار وشر الأشرار

إلى عقيلة النساء، وجالبة الأصهار، وحاضنة الأبناء، ومربية الأجيال.

إلى بُنيتي التي أدعو لها دائماً بالحفظ والصلاح والستر والعفاف

أبدأ رسالتي إليك بأن أحييكِ : بتحية الإسلام، بتحية أهل الجنة :

فالسلام عليكِ ورحمة الله وبركاته...أما بعد :

فأسال الله الرحمن الرحيم ، الجواد الكريم، كما جمعنا في هذه الحياة الدنيا أن يجمعنا ووالدينا وأحبابنا في أعلى جنات النعيم، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

وبعد : فهذه رسائل إليكِ ملئوها المحبة والشفقة، أسال الله الكريم فيها الإعانة والتوفيق والسداد لقول الحق، فأبدأُ مستعيناً بالله :

لقد وضع الله جل جلاله في قلب الوالدين وخصوصاً الأمهات الرحمة بالأبناء، فقلوبهن تمتلئ شفقة وحنان على أبنائهن، فهذه أم إسماعيل زوج أبونا إبراهيم عليهم السلام يضعها إبراهيم مع ابنها إسماعيل عند البيت فوق زمزم، ويضع عندها جراباً فيه تمر، وسقاءً فيه ماء، حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه يتلوى فانطلقت تسعى بين الصفا والمروة كراهية أن تنظر إليه وهي يتلوى من العطش.

وهاهي أم المؤمنين عائشة بنت الصديق رضي الله عنهما تقول : دخلت عليَّ امرأة معها ابنتان لها تسأل، فلم تجد عندي شيئاً غير تمرة فأعطيتها إياها، فقسمتها بين ابنتيها، ولم تأكل منها، ثم قامت وخرجت، قال أهل العلم : هذا الحديث فيه عجائب منها : الرحمة العظيمة في هذه المرأة، فإنها إن قسمت التمرة أثلاثاً ضعُف نصيب كل واحدة، وإن أعطتها واحدةً دون الأخرى صار في ذلك جور، فما بقي إلا أن تُؤثر ابنتيها على نفسها، وتشق التمرة بينهما نصفين.

وهذا أبو هريرة رضي الله عنه، يقول أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال واصفاً نساء قريش أنهن : (خير نساء ركبن الإبل : صالح نساء قريش، أحناه على ولدٍ في صغره)

وقد ذكر أهل التفسير : أن امرأة لها صبي صغير من قوم نوح لم تؤمن به، فلما جاء الطوفان الذي أغرق أهل الأرض جميعاً، ونبع الماء وصار في السكك، خشيت أم الصبي على صبيها، وكانت تحبه حباً شديداً، فخرجت إلى الجبل حتى بلغت ثلثه، فلما بلغها الماء ارتفعت حتى بلغت ثلثيه، فلما بلغها الماء، خرجت به حتى استوت على الجبال، فلما بلغ الماء رقبتها رفعته بيديها، لكنهما غرقا جميعاً.

فإذا كان والداك هما أكثر الناس شفقة عليكِ، فارعي سمعك جيداً لما يقولان لكِ، فهما لا يأمران إلا بخير، ولا ينهيان إلا عن شر :

ُبنيـتي : الـدنيا تتغير وتتبـدل سـريعاً، وقـد أشـار إلى هـذا رسـولنا صـلى الله عليـه وسـلم عنـدما وعـظ أصـحابه رضـي الله عـنهم موعظـةً بليغـةً وجلـت منهـا قلـوبهم، وذرفـت منهـا دمـوعهم، فقـالوا : يا رسـول كأنهـا موعظـة مـودع فأوصـنا، فقـال عليـة الصـلاة والسـلام : (أوصيكم بتقـوى الله، والسـمع والطاعـة، وأن تأمـر عليكم عبـد حبشـي، فإنه مـن يعيش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً) قـال أهـل العلـم : فيه مـن معجزاتـه صـلى الله عليه وسـلم : الإخبار بما يقع بعده من كثرة الاختلاف وغلبة المنكر.

ولقد تغيرت الدنيا بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم في كلِّ شيءٍ، في الاعتقادات والأعمال والأقوال، ولقد اختلفت أحوال الناس وتغيرت فتبدلت أحوالهم تبدلاً كاملاً بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بمدد متفاوتة.

ومما تغير بعده حال النساء، فقد قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : (لو أن رسول صلى الله عليه وسلم رأى ما أحدث النساء لمنعهن المساجد) قال أهل العلم : قولها : (ما أحدثت النساء) من الزينة والطيب وحسن الثياب.

ولهذا عندما حدث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما بحديث الرسول علية الصلاة والسلام : (لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنكم إليها) قال بلال بن عبدالله رضي الله عنهما : (والله لنمنعهن) قال أهل العلم : ليس قصده ردّ الحديث، لكن قصده أن الأمر تغير، وأن النساء في عهد النبي صلى الله عليه وسلم يخرجن بلباس الحشمة، بعيدات عن التبرج والطيب، وأن الوقت قد تغير.

وإذا كان هذا حدث بعد سنوات من وفاة الرسول علية الصلاة والسلام، فقد تغيرت أحوال النساء الآن تغيراً كبيراً، فالثبات الثبات يا بُنية على تعاليم الإسلام وأحكامه وآدابه ففيها النجاة والسلامة في الدنيا والآخرة، وأبدأ برسائلي إليكِ :

الرسالة الأولى :

طاعتكِ لله ولرسوله خير لكِ في دنياكِ وسعادة لكِ في آخرتك

بُنيتي : اجعلي طاعة الله ورسوله نصب عينيكِ، فأنتِ إن فعلتِ ذلك فستنالين الخيرات والبركات في الدنيا والآخرة، فمن أطاع الله ورسوله فهو في أعلى درجات الجنة، مع أولياء الله الذين أنعم الله من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين – جعلنا الله منهم – قال ربنا عز وجل : ﴿ ومن يطع الله والرسول فأُلئك مع الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسُن أولئك رفيقاً ﴾ [النساء:٦٩] وطاعة الله والرسول عليه الصلاة والسلام يجنى الإنسان ثمارها في الدنيا قبل الآخرة، فإن أردتِ دليلاً لهذا، فاستمعي لما تقوله واحدة من بنات جنسك، وهي الصحابية فاطمة بنت قيس رضي الله عنها، فقد ذكرت أن زوجها طلقها ثلاثاً، وأنه خطبها معاوية، وأبوجهم، وأسامة بن زيد، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أما معاوية فرجل ترب، وأما أبوجهم فرجل ضراب للنساء، ولكن أسامة بن زيد) فقالت : بيدها أسامة أسامة، فقال لها رسول الله علية الصلاة والسلام : (طاعة الله وطاعة رسوله خير لك) قالت : فتزوجتُهُ، فاغتبطت به.

لقد جنت رضي الله عنها ثمار طاعتها لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم في الدنيا قبل الآخرة، حيث قالت : تزوجته، فاغتبطت به، وسعدت معه.

قال أهل العلم طاعة الله ورسوله كلها خير والعاقبة لمن أطاع الله ورسوله حتى وأن توهم في أول الأمر أنه لا يستفيد..فهذا أسامة بن زيد كرهته فاطمة بنت قيس رضي الله عنهما وفي النهاية تقول إنها اغتبطت به وجعل الله بينهما مودة فإياك أن تخالف أمر الله ورسوله أطع الله ورسوله فإن الخير في طاعة الله ورسوله والعاقبة للمتقين.

وإن رغبتِ دليلاً ثانياً فاستمعي لما تقوله أم المؤمنين أم سلمه رضي الله عنها، فقد ذكرت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول : إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها إلا آجره الله في مصيبته وأخلف له خيراً منها) قالت : فلما توفي أبو سلمه قلتُ : أي المسلمين خير من أبي سلمة أول بيتٍ هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي رواية قالت : فلما توفي أبو سلمه، قُلتُ : من خير من أبي سلمه صاحب رسول الله صلى الله عليه، ثُمَّ عزم الله لي فقلتها كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخلف الله لي خيراً منه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال أهل العلم : لم يكن يخطر ببالها أن يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن لثقتها بكلام الرسول علية الصلاة والسلام قالت ذلك.

فأنتِ يا بنيتي : كوني واثقة مطمئنة لما يأمر به الله جل جلاله ورسوله علية الصلاة والسلام، وأن في ذلك الخير في الدنيا والسعادة في الآخرة.

بُنيتي : ليكن هدفكِ ومرادكِ وغايتك رضا الله ورسوله والدار الآخرة، كما فعلت أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، اللائي اخترن ذلك عندما خيرهن الرسول علية الصلاة والسلام، فعن أم المؤمنين عائشة بنت الصديق رضي الله عنهما قالت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءها حين أمره الله أن يُخيِّر أزواجه، فبدأ بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (إنِّي ذاكر لك أمراً، فلا عليك أن لا تستعجلي حتى تستأمري أبويك) وقد علم أن أبواي لم يكونا يأمراني بفراقه، قالت : ثم قال : (إن الله قال : ﴿ يا أيها النبي قُل لأزواجك ﴾ إلى تمام الآيتين، فقلت له : ففي أي هذا أستأمر أبواي ؟ فإني أُريدُ الله ورسوله والدار الآخرة.

رضي الله عنها لقد اختارت الله ورسوله والدارة الآخرة، وقال ذكر أهل العلم أن عمرها كان إذ ذاك أربعة عشر عاماً تقريباً، فكانت صغيرة السن، شابة، والشابة غالباً تريد الحياة الدنيا وزينتها، ومع ذلك تركتها لله ولرسوله وللدار الآخرة، فما أعقلها رضي الله عنها، فلتكن هي وبقية أمهات المؤمنين قدوةً لكِ في ذلك.

قال أهل التفسير رحمهم الله : اخترن رضي الله عنهن وأرضاهن : الله ورسوله والدار الآخرة، فجمع الله تعالى لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة.

بُنيتي : إن من مقتضيات الإيمان إذا قضى الله تعالى ورسوله علية الصلاة والسلام أمراً ألا يخالف المؤمن أو المؤمنة أمر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، وأن لا يختار خلاف أمر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، قال الله عز وجل : ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخِيرةُ من أمرهم ﴾ [الأحزاب/٣٦] فالخير كل الخير فيما قضاه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، فينبغي السمع والطاعة والتسليم لأمر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، قال الله عز وجل : { إِنَّما كان قولَ المؤمنين إِذا دُعُوا إِلى الله وَرَسُوله ليحكُم بينهم أن يقُولُوا سمِعنا وأَطعنا وأُولئك هُمُ المفلحُون } [النور/٥١]

بُنيتي : عليكِ بالسمع والطاعة والامتثال لأمر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، ولتكن أمهات المؤمنين أفضل النساء في أفضل القرون، هنَّ قدوتكِ في ذلك، عن معاذه بنت عبد الله قالت : سألتُ عائشة فقلتُ : ما بالُ الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ فقالت: أحرورية أنت؟ فقلت:لست بحرورية ولكني أسالُ فقالت : كان يُصيبنا ذلك، فنؤمرُ بقضاء الصوم، ولا نؤمر بقضاء الصلاة.

واحذري من الاستماع لدعاة الضلال الذين يزخرفون الفساد بقوالب ناعمة سامة.

الرسالة الثانية :

حياؤكِ زينتكِ وشعبة من إيمانكِ

بُنيتي : الحياء من مكارم الأخلاق، التي تقرها العقول السليمة، وتحبها الفطر المستقيمة، وهو من شعب الإيمان، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الإيمانُ بضع وسبعون شعبة، فأفضلها : قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان) فإن قُلتِ يا بُنية : هناك في الشرع ما هو أعظم منزلة من الحياء، كبِرِّ الوالدين فلماذا خصه النبي صلى الله عليه وسلم بالذكر ؟ فالجواب كما قال أهل العلم : خصَّه بذلك حثاً عليه، لأن بعض الناس قد يكون عنده أعمال برّ كثيرة، ولكن ليس عنده حياء.

والحياء خُلق محمود، قال صلى الله عليه وسلم : (الحياء لا يأتي إلا بخير) قال علية الصلاة والسلام : (الحياء خير كله)

ويكفي الحياء فضيلة أن الله جل جلاله يحبُّ الحياء، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله حيّي، ستير، يُحبُّ الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر)

ونبينا علية الصلاة والسلام : كان أشدُّ حياءً من العذراء في خدرها.

والحياء كان من أخلاق الأنبياء عليهم السلام، قال عليه الصلاة والسلام : (إن موسى كان حيياً ستيراً، لا يُرى من جلده شيء استحياءً منه)

والحياء من أخلاق الملائكة عليهم السلام، فهو جبريل عليه السلام يأتي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الليلة التي كان فيها عند أم المؤمنين عائشة رضي الله عنه، فلم يدخل عليه بيته، وقد ذكر الرسول علية الصلاة والسلام لعائشة رضي الله عنها أسباب عدم دخوله بقوله:إن جبريل أتاني..فناداني.ولم يكن ليدخل عليك، وقد وضعت ثيابك

ومن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت الملائكة تستحيي منه، وهو أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، قال عليه الصلاة والسلام : (ألا أستحيي من رجل تستحيي منه الملائكة) وقال صلى الله عليم وسلم : (الحياء من الإيمان، وأحيي أمتي عثمان)

والحياء خلق يبعث على ترك الأمور القبيحة، فيمنع الإنسان من الوقوع في المعاصي وما يُعاب، قال الشاعر :

ورب قبيحةٍ ما حال بيني وبين ركوبها إلا الحياء

فكان هو الدواء لها ولكن إذا ذهب الحياء فلا دواء

فمن لا حياء فيه فهو ميت الأحياء، وبين ارتكاب الذنوب وقلة الحياء تلازم قوي، فكلٍّ منهما يستدعي الآخر ويطلبه.

ومن نُزِع منه الحياءُ فعل كل قبيح ومستهجن، قال علية الصلاة والسلام : (إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستحي فاصنع ما شئت)

قال الشاعر :

إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستحي فاصنع ما تشاء

فلا والله ما في العيش خير ولا في الدنيا إذا ذهب الحياء

والمرأة بفطرتها السليمة التي خلقها الله عليها، مجبولة على الحياء، الذي يُعدُّ من الأخلاق الجميلة، وما أجمله في النساء، قال الله عز وجل : ﴿فجاءته إحداهما تمشي على استحياء ﴾ [القصص:٢٥] فمن كمال أدبها أنها جاءت تمشي على استحياءٍ، ذكر أهل التفسير عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : جاءت وقد وضعت ثوبها على وجهها استحياء.

وكانت البكر من النساء تستحيي أن تفصح عن رغبتها في النكاح، ولهذا لما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : (لا تنكح البكر حتى تُستأذن) قالت عائشة رضي الله عنها : (يا رسول الله : إن البكر تستحي) فقال علية الصلاة والسلام : (رضاها صمتها)

ومن استحيت غطت وجهها، فعن أم سلمة رضي اله عنها قالت : جاءت أم سليم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله، إن الله لا يستحيي من الحق، فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : نعم، إذا رأت الماء) فغطَّت أم سلمة رضي الله عنها، وجهها، وقالت : يا رسول الله وتحتلم المرأة ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : (نعم، تربت يداك، ففيم يشبهها ولدها)

ومن استحييت لم تمشي مع الرجال الأجانب عنها، فعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت : تزوجني الزبير وما له في الأرض من مال...وكنت أنقل النوى من أرض الزبير وهي مني على ثلثي فرسخ فجئت يوماً والنوى على رأسي فلقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر من الأنصار فدعاني ثم قال : إخ إخ ليحملني خلفه فاستحييتُ أن أسير مع الرجال فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أنِّي قد استحييتُ فمضى.

استحيت رضي الله عنها أن تسير مع الرجال، ومن هم هؤلاء الرجال ؟ إنهم ر سول الله صلى الله عليه وسلم، وصحابته رضي الله عنهم، أفضل القرون، وبعض النساء هداها الله تخرج من بيتها وقد نزعت حياءها لتغشى منديات الرجال وأماكن تواجدهم تخالطهم وتضحك معهم وتلين القول لهم، وقد يكون ثمن ذلك فقد الشرف وانتهاك العرض، فالحذر الحذر، قبل الحسرة والندم.

الرسالة الثالثة : عفافكِ حياتكِ فاستمسكي به وحافظي عليه

بُنيتي : العفاف للمرأة كالماء للسمكة، فكما أن السمكة إذا خرجت من الماء ماتت، فالمرأة بدون عفاف تموت، ولذا فإن العفيفة تتمنى الموت على ألا تتهم في شرفها، وقد تمنت مريم أم المسيح عليهما السلام الموت خوفاً من ذلك، قال عز وجل :﴿ واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً ۞ فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً ۞ قالت إني أعُوذُ بالرحمن مِنك إن كنت تقياً ۞ قال إنما أنا رسول ربِكِ لأهب لكِ غُلاماً زكياً ۞ قالت أني يكُون لي غُلام ولم يمسسني بشر ولم أكُ بغياً ۞ قال كذلك قال ربُّك هُو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً ۞ فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً ۞ فأجاءها المخاضُ إلى جذع النخلة قالت يا ليتني متُّ قبل هذا وكنتُ نسياً منسياً ﴾ [مريم:١٦-٢٣] لقد كانت عليها السلام في خلوتها عندما دخل عيها جبريل عليه السلام في صورة رجل سوي، فخافت منه، وحق لها أن تخاف فهي الفتاة العفيفة الطيبة البريئة، ذات التربية الصالحة، فلجأت إلى ربها تستعيذ به وتستنجد به، وتذكر الرجل بالخوف من الله، ووجوب تقواه، وبعد أن أخبرها جبريل عليه السلام أنه رسول من الله، لِيهب لها غلاماً، وبعد أن حملت به، وجاءها المخاض، تمنت الموت لأنها كانت فتاة عفيفة لا يعرف عنها إلا الطهر والعفة، ولا يعرف عن أهلها وأسرتها إلا ذلك، ولهذا قال لها قومها عندما جاءتهم ومعها ابنها المسيح عيسي عليهما السلام: ﴿ يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً ۞يا أُخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أُمكِ بغياً ﴾ قال أهل التفسير : أي أنت من بيت طيب طاهر معروف بالصلاح والعبادة والزهادة فكيف صدر هذا منك ؟! فالذرية في الغالب بعضها من بعض في الصلاح وضده.

وإذا كانت مريم عليها السلام تمنت الموت، على ألّا يحصل لها ما يخدش عفافها، فقد تعجبت أمنا أم المؤمنين زوج النبي علية الصلاة والسلام عائشة بنت الصديق رضي الله عنهما أن يتحدث الناس في عرضها، فقالت : " أو لقد تحدث الناس بهذا ؟ " قال أهل العلم : الاستفهام هنا للتعجب، كيف يتحدث الناس بهذا الشيء، وهي عند نفسها حصينة، وزوجة سيد الرسل علية الصلاة والسلام ؟ ! هذا شيء مستعبد.

ومع ذلك وقع، ولله عز وجل حكمة في ذلك، وعندما خرجت عائشة رضي الله عنها مع أم مسطح، وأخبرتها بقول أهل الإفك فيها، ازدادت مرضاً على مرضها، والمرض الأخير كما ذكر أهل العلم مرض قلبي، وهو ينعكس على الجسم أيضاً.

ثم أنها رضي الله عنها بكت بكاءً كثيراً، استمعي لها وهي تروي ما حدث لها بعد أن علمت بما قيل فيها، تقول رضي الله عنها : واستعبرتُ، وبكيتُ تلك الليلة حتى أصبحتُ لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم حتى أصبحتُ أبكي...فأصبح أبواي عندي وقد بكيتُ ليلتين ويوماً لا أكتحل بنوم ولا يرقأ لي دمع، حتى إني لأظنُّ أن البكاء فالق كبدي.

رضي الله عنها لقد بكت كثيراً، حتى كاد البكاء أن يقطع كبدها، وحق لها أن تبكي، فالعفيفة لا يهون عليها أن ترمى في شرفها أو أن تخدش في عفافها.

قال حسان بن ثابت رضي الله عنه في حق عائشة رضي الله عنه بعد أن تاب من قول أهل الإفك :

حصان رزان ما تُزنُّ بِريبة وتُصبحُ غرثي من لحوم الغوافل

فهو رضي الله عنه، يصفها بالمحصنة، العفيفة، الرزينة العاقلة، التي لا تتهم ولا ترمى بريبة، رضي الله عن صحابة رسول الله، وجازى من تكلم فيهم بما يستحق من عقوبة.

بُنيتي : العفاف من أسباب مغفرة الذنوب ونيل الأجور العظيمة في الآخرة، قال الله عز وجل : ﴿ والحافظين فُرُوجهم والحافظاتِ والذاكرين الله كثيراً والذاكراتِ أعدَّ اللهُ لهم مغفرةً وأجراً عظيماً ﴾ [الأحزاب/٣٥] قال أهل العلم : من فوائد الآية الكريمة : فضيلة حفظ الفرج...وأنه ينبغي اتخاذُ الوسائل التي ينبغي بها حفظ الفرج، لأن الثناء على شيء ثناء عليه وعلى وسائله، فكلُّ ما يحصُل به حفظ الفرج فإنه مطلوب...والله سبحانه وتعالى أعدَّ لهؤلاء المتَّصفين بهذه الصفات المغفرة من الذنوب والأجر العظيم على الطاعات.

بُنيتي : من حرصت على المحافظة على شرفها وعفافها، حفظها الله في عرضها وشرفها فلم يدنس بقول، ولم ينتهك بفاحشة، مهما كاد الكائدون ومكر الماكرون، وإليك بعض الأدلة على ذلك، لنساء وقع لهن ذلك :

فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك قالت : أنا والله أعلمُ حينئذ أني بريئة وأن الله مبرئي ببراءتي ولكن والله ما كنت أظنُّ أن ينزل في شأني وحي يتلى ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله فيَّ بأمر يتلى ولكنت كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا يبرني الله بها قالت فو الله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج أحد من البيت حتى أنزل الله تعالى على نبيه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي قالت فسري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال : (أبشري يا عائشة أما الله عز وجل فقد برأك) لقد حفظها الله جل جلاله وأنزل في براءتها آيات تتلى إلى يوم القيامة، قال أهل العلم : إذا تدبرها الإنسان عرف مقام النبي صلى الله عليه وسلم، وكيف أن الله يُدافع عن الذين أمنوا ؟

وقال الله عز وجل عن مريم عليها السلام : ﴿ فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً * يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوءٍ وما كانت أمك بغياً * فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً * قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبي ﴾ [مريم٢٨-٣٠] لقد حفظها جعل الله جل جلاله، فجعل براءتها مما نسبت إليه من الفاحشة، بأمرٍ خارق للعادة، وهو كلام عيسى عليه السلام في المهد، فتكلم، وكان في ذلك تبرئة لأمه مما نسبت إليه من الفاحشة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (دخل إبراهيم عليه السلام، قرية فيها جبار من الجبابرة، فقيل له : إن ها هنا رجلاً معه امرأة من أحسن الناس، فأرسل إليه فسأله عنها، فقال : من هذه ؟ قال : أختي، فأتى سارة وقال : يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك، وإن هذا سألني عنك فأخبرته أنك أختي، فلا تكذبي، فأرسل إليها فلما دخلت إليه قام إليها، قال : فأقبلت تتوضأ وتصلي، وتقول : " اللهم إن كنت تعلم أني آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلا على زوجي فلا تسلط عليَّ هذا الكافر " قال : فغط حتى ركض الأرض برجله، فقال : ادعي الله ولا أضرك، فدعت الله فأطلق، ثم تناولها ثانية فأُخذ مثلها أو أشدَّ، فقال : ادعي الله ولا أضرك، فدعت فأطلق، وفي المرة الثالثة دعا بعض حجبته وقال : إنكم لم تأتوني بإنسان إنما أتيتموني بشيطان، ثم أطلقها وأخدمها هاجر، فجاءت إلى إبراهيم عليه السلام، فسألها ما الذي حدث ؟ فقالت : رد الله كيد الكافر، وأعطنا جارية.

وقول هذا الظالم : " إنكم أتيتموني بشيطان " الحق أنه هو الشيطان، وأن سارة حفظها الله جل جلاله من فجوره، ومن حفظ الله حفظه.

وعن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى أووا المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم فقال رجل منهم : اللهم كانت لي بنت عم كانت أحبَّ الناس إلي فأردتها عن نفسها فامتنعت منِّي حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت لا أحلُّ لك أن تفُضَّ الخاتم إلا بحقه فانصرفت عنها وهي أحبُّ الناس إلي وتركت الذهب الذي أعطيتها.

وفي رواية:فلما أمكنتني عن نفسها بكت فقلتُ ما يبكيك؟ قالت فعلت هذا من الحاجة فقلتُ انطلقي وفي رواية فأسلمت إلي نفسها، فلما كشفتها ارتعدت فقلتُ : ما لك ؟ قالت : أخاف الله رب العالمين، فقلتُ : خفتيه في الشدة ولم أخفه في الرخاء فتركتها،وفي رواية فلما جلست منها مجلس الرجل من المرأة ذكرت النار، فقمتُ عنها

بُنيتي : العفاف من أسباب دخول الجنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إذا صلت المرأةُ خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها ادخلي الجنة من أيِّ أبوابِ الجنةِ شئِت)

بُنيتي : حافظي على هذا الدعاء لستر العورات، فعن ابن عمر رضي الله عنه قال : لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح : (اللهم إني أسالك العافية في الدنيا والآخرة اللهم إني أسالك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عورتي وآمن روعتي، اللهم أحفظني من بين يدي ومن خلفي، وعن يميني وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي)

الرسالة الرابعة :

لا تكوني فتنة للرجال

بُنيتي : لا تكوني فتنة في الرجال حتى تسلمي من الإثم، فالمرأة أعظم فتنة للرجل، فعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه : (ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء) فالمرأة تفتن الرجل، وقد ذكر الإمام ابن الجوزي رحمه الله قصةً لمؤذن صعد المنارة ليؤذن، فرأى امرأة جميلة على السطح، فتعلق بها، وطلب الزواج منها، فقالت له : إنها نصرانية وأنه لا تقبل الزواج منه حتى يتنصر، فحاول بها، فأبت إلا أن يتنصر، فتنصر، فلما تنصر قالت له : إذا كان دينك رخيصاً عندك فأنا سأكون أرخص من ذلك عندك، وستطلقني بأدنى سبب، ولذا فلا رغبة لي فيك، ولن أتزوجك، فخسر الدنيا والآخرة، نسأل الله السلامة.

وحتى لا تكوني فتنةً للرجال، فاحرصي على ما يلي :

القرار في البيت وعدم الخروج منه إلا لحاجة أو ضرورة

قال الله عز وجل:﴿ وقرن في بيوتكن ﴾ [الأحزاب:٣٣]وعن أم ورقة بنت نوفل رضي الله عنها قالت : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : (قِرّي في بيتك) فالأصل أن تقرَّ المرأة في بيتها وأن لا تخرج منه إلا لحاجة فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (قد أُذن لكن أن تخرجن لحاجتكن) فقرار المرأة في بيتها خير لها، لأنها إذا خرجت منه فإن الشيطان يطمع في إغوائها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان) وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : النساء حبالة الشيطان.

بُنيتي : لقد أجاز الإسلام للمرأة أن تخرج من بيتها لأداء الصلاة في المسجد غير متطيبة ومتجملة، إلا أنه رغب في بقائها في بيتها والصلاة فيها، قال رسول الله علية الصلاة والسلام(لا تمنعوا إماء الله مساجد الله وليخرجن وهن تفلات) وفي رواية : (وبيوتهن خير لهن) وعن أم حميد الساعدية رضي الله عنها أنها جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت :يا رسول الله إني أحبُّ الصلاة معك قال : (قد علمتُ أنك تحبين الصلاة معي وصلاتُك في بيتك خير من صلاتِكِ في حُجرتِك وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك وصلاتك في دارك خير من صلاتك في مسجد قومك وصلاتك في مسجد قومك خير من صلاتك في مسجدي)

عدم التطيب عند الخروج من البيت

بُنيتي : للطيب وخصوصاً إذا كان له رائحة طيبة تأثير في النفوس، والمرأة إذا تعطرت ومرت بالرجال، أثر ذلك فيهم، ولذا نهيت عن ذلك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تمنعوا إماء الله مساجد الله ولكن ليخرجن وهنَّ تفلات) أي :غير متطيبات، وعن زينب امرأة ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تمس طيباً) وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أيُّما امرأة أصابت بُخوراً فلا تشهد معنا العشاء الآخرة) وعن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أيُّما امرأةٍ أصابت استعطرت ثم خرجت فمرت على قومٍ ليجدوا ريحها فهي زانية) وعن عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (خيرُ طِيبِ النساء ما ظهر لونُهُ وخفيَ ريحُهُ) وعن حفصة رضي الله عنها قالت : إنما الطيب للفراش.

تغطية الوجه وستره عن الرجال الأجانب

ُنيتي : إن الوجه المصون بالحجاب كالجوهر المكنون في الوعاء، ولن تتزين المرأة بزينة هي أجمل من ستر وجهها عن الرجال الأجانب عنها، وقد دلّت النصوص الشرعية، وعمل أمهات المؤمنين، ونساء أفضل القرون، وأقوال أهل العلم المعتبرين، على وجوب تغطية المرأة لوجهها، وللعلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رسالة لطيفة نافعة مفيدة سماها " رسالة الحجاب " أورد فيها الأدلة من القرآن الكريم، والسنة النبوية، والقياس، التي دلّت على وجوب احتجاب المرأة عن الرجال الأجانب وتغطية وجهها، ثم ذكر رحمه الله أدلة المبيحين لذلك وأجاب عليها.

بُنيتي : ليكن قدوتكِ في ستر وجهك عن الرجال الأجانب، أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، فعن عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قالت في حادثة أصحاب الإفك : وكان صفوان يراني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمّرتُ وجهي عنه بجلبابي، فقد بادرت رضي الله عنها إلى تغطية وجهها حرصاً على الستر، وعنها رضي الله عنها قالت : يرحم الله نساء المهاجرات الأول لما أنزل الله عز وجل : ﴿ وليضربن بخمرهن على جيوبهن ﴾ [النور:٣١] شققن مروطهن فاختمرن بها، قال أهل العلم : " اختمرن " أي غطَّين وجوههن، وعن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قالت : كنا نغطي وجوهنا من الرجال.

ولما نزل قوله تعالى : ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يُدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يُؤذين ﴾ [الأحزاب : ٥٩] قالت أم سلمة رضي الله عنها : خرج نساء الأنصار كأن رؤوسهن الغربان من السكينة وعليهن أكسية سود يلبسنها.

بُنيتي : المرأة التي تُغطي وجهها لا تؤذى من الفساق، قال الله عز وجل : { يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يُدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يُؤذين } [الأحزاب : ٥٩] ومن دعوا المرأة إلى السفور اعترفوا بأنها إذا كشفت وجهها أُوذيت من الناس، فقد ذكر من ألف في موضوع الحجاب أن أول من دعا إلى سفور المرأة وكشفها لوجهها للرجال الأجانب عنها، قد قال : أدركت الآن خطورة هذه الدعوة بما اختبرته من أخلاق الناس، فلقد تتبعت خطوات النساء في كثير من أحياء العاصمة...لأعرف درجة احترام الناس لهن، وماذا يكون شأنهم معهن إذا خرجن سافرات، فرأيت..فساد أخلاق الرجال...رأيتهم ما مرت بهم امرأة أو فتاة إلا تطالوا إليها بألسنة البذاء، ثم ما وجدت زحاماً في طريق فمرت به امرأة إلا تناولتها الأيدي والألسنة جميعاً.

وما ذكره هو المتوقع فقد ذكر المفسرون : أن ناس من فساق أهل المدينة يخرجون بالليل حين يختلط الظلام إلى طرق المدينة فيعرضون للنساء، أمّا إذا غطين وجههن عُلِم أنهن حرائر، فلا يتعرض لهن فاسق بأذى ولا ريبة.

بُنيتي : تغطية المرأة لوجهها طهارة لقلبها ولقلوب المؤمنين من كلِّ خلق هابط، قال الله عز وجل : ﴿ وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلكُم أطهر لقُلُوبكم وقُلُبهن ﴾ [الأحزاب/٥٣]

إن من فوائد الحجاب طهارة القلب من الأخلاق الرذيلة، والإنسان العاقل يسعى في كل ما فيه تطهير لقلبه، ويبتعد عن كل ما فيه تدنيس لقلبه، فاحرصي على الحجاب واستري وجهكِ يزكو قلبكِ، فالله جل جلاله علل الأمر بالحجاب، لكونه أطهر للقلوب.

بُنيتي : المرأة العفيفة يعظُمُ عليها أن ينظر إليها أجنبي، فعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له امرأة أخطبها فقال : (أذهب فانظر إليها فإنه أجدر أن يؤدم بينكما) فأتيت امرأة من الأنصار فخطبتها إلى أبويها وأخبرتهما بقول النبي صلى الله عليه وسلم فكأنهما كرها ذلك فسمعت ذلك المرأة وهي في خدرها فقالت: إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك أن تنظر فانظر وإلا فنشتدك كأنها أعظمت ذلك.

لقد أعظمت رضي الله عنها أن ينظر إليها رجل أجنبي.

بُنيتي : السفور مطية الفجور، ومن سمح لقدمه أن تنزلق خطوة واحده في أول الطريق، فإنه لا يدري إلى أين تسوقاه قدماه، وإلى أين ينتهى به المسير، وما نراه من مظاهر لا تليق بالمرأة العاقلة فضلاً عن المؤمنة العفيفة، كانت بداياته تساهل المرأة في السفور وعدم تغطية الوجه، ومن هنا بدأت الفتنة، فقد خلعت المرأة المسلمة غطاء وجهها، وخلعت معه حياءها، الذي طالما صانها من أذى كل فاجر وفاسق، والذي كان سياجاً يحمي المجتمع المسلم من مظاهر لا تليق به، فكوني بُنيتي سداً منيعاً، ولا تكوني ثغرة ينفذ منها الأعداء لهدم بينان المجتمع.

عدم التبرج وإبداء الزينة وإظهار المحاسن للرجال :

بُنيتي : المرأة لا يجوز لها أن تتبرج بإظهار زينتها ومحاسنها للرجال الأجانب عنها، قال الله عز وجل : ﴿ و لا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ﴾ [الأحزاب:٣٣] وقال جل جلاله : ﴿ ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ﴾ [النور/٣١] وقال جل وعلا : ﴿ و لا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها ﴾ [سورة النور/٣١] قال أهل العلم : تُبدي وتُظهر اللباس الذي لابد من ظهوره.

بُنيتي : لقد أنزل الله جل جلاله اللباس لستر العورات والسوءات، قال الله عز وجل : ﴿ يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم ﴾ [الأعراف:٢٦] فاجعلي لباسك لذلك، واستري به مفاتنك، والمرأة منذ القدم بفطرتها السليمة تستر مواضع فتنتها، فترتدي الملابس الساترة، قال الله عز وجل : ﴿ قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبتهُ لُجةً وكشفت عن ساقيها ﴾ [النمل:٤٤] قال أهل العلم : ومن فوائد الآية الكريمة أن المرأة من قديم الزمان شيمتها التستُّر، لأن قوله : ﴿ وكشفت عن ساقيها ﴾ دليل على أن الأصل أنها مستورة وهو كذلك.

وعن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من جرَّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة) فقالت أم سلمه رضي الله عنه ا: كيف يصنع النساء بذيولهن ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : (يرخين شبراً) فقالت إذاً تنكشف أقدامهن، فقال صلى الله عليه وسلم : (فيرخينه ذراعاً ولا يزدن عليه) فنساء الصحابة رضي الله عنهم كنَّ يرتدين الملابس الساترة، التي تستر أقدامهن، فليكنّ رضي الله عنهن هن القدوة لك والأسوة في هذا لعللكِ أن تكوني معهن يوم القيامة في جنات النعيم، فعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال لبعض أصحابه ألا أُريك امرأة من أهل الجنة ؟ قلتُ بلى قال هذه المرأة السوداء أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت إني أُصرعُ وإني أتكشف فادع الله لي قال : إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك فقالت : أصبر وإنِّي أتكشفُ فادع الله لي أن لا أتكشف فدعا لها.

لقد صبرت رضي الله عنها على المرض، ولكنها طلبت من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يدعو لها إلا تتكشف، فالمهم عندها عدم تكشفها أمام الناس.

بُنيتي : لقد ذكر أهل العلم : أن المرأة لا يحلُّ لها أن تظهر شيئاً من بدنها لرجال ليسوا من محارمها، فاحرصي على ستر جميع جسدك عنهم، واعلمي إن كشف العورات بعدم ارتداء اللباس الساتر للمفاتن فتنة من تزين ووسوسة الشيطان، قال الله عز وجل : ﴿ يا بني آدم لا يفتننكُمُ الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزعُ عنهما لباسهما ليرُيهما سوءاتهما ﴾ [الأعراف:٢٧] وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما وُرِي عنهما من سوءاتهما ﴾ [الأعراف:٢٠] وقال جل جلاله : ﴿ فدلاهما بغرورٍ فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما ﴾ [الأعراف :٢٢]

وقد جاء رجل إلى ابن عباس رضي الله عنه فقال: إني نذرت لأَ تعرينَّ يوماً حتى الليل على حراء فقال له رضي الله عنه : إنما أراد الشيطان أن يفضحك، ثم تلا : ﴿ يا بني آدم لا يفتننكُمُ الشيطان ﴾ توضأ ثم ألبس ثوبك وصلِّ على حراء يوماً حتى الليل. وعن ابن عباس رضي الله عنه في قصة المرأة التي تصرع فتتكشف، قالت : إني أخاف الخبيث أن يجردني

بُنيتي : إن كشف العورات من طبائع الكفار الفجار، وليست من أفعال المؤمنين الأبرار، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى بعض)

والعرب في جاهليتهم وكفرهم وشركهم كانوا يطوفون بالكعبة رجالاً ونساءً وهم عراة، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال : كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن أبا بكر رضي الله عنه بعثه في الحجة التي أمره عليها رسول الله قبل حجة الوداع في رهط يُؤذن في الناس : ألا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، فالعري جاهلية ورجس.

بُنيتي : من الفتن التي وقعت فيها كثير من نساء المسلمين لبس اللباس الكاسي العاري، فعن أم سلمه رضي الله عنها قالت : استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلةً فزعاً يقول : (سُبحان الله ماذا أنزل الله من الخزائن، وماذا أزل من الفتن ؟ من يوقظ صواحب صواحب الحجرات-يريد أزواجه- لكي يصلين ؟ رُبَّ كاسيةٍ في الدنيا عاريةٍ في الآخرة) فلا تتهاوني في هذا فالعقوبة في الآخرة شديدة، فقد ذكر أهل العلم رحمهم الله: أن من معاني قوله صلى الله عليه وسلم : (كاسية عارية) أي: أنها كاسية بالثياب لكنها شفافة لا تستر عورتها فتعاقب في الآخرة بالعري جزاء على ذلك.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : (صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا) فمن أصناف أهل النار أجارنا الله وجميع المسلمين منها، النساء الكاسيات العاريات، قال أهل العلم رحمهم الله : إن من معاني قوله صلى الله عليه وسلم (كاسيات عاريات) أنها تستر بدنها وتكشف بعضه، إما لأن اللباس قصير لا يستر جميع الجسد، وإما لأنه شفاف يظهر ما تحته، وإما لأنه ضيق يُبرز المفاتن، ويدخل في ذلك فتح أعلى الصدر، وما يكون مشقوقاً من الأسفل.

وإن مما يعينك على عدم التبرج، إقامة الصلاة بأركانها وواجباتها وسننها، وتأديتها بخشوع قال أهل العلم : إن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ولا تبرج ﴾ ثم قال عز وجل : ﴿وأقمن ﴾ فدلَّ هذا على أن من أسباب عدم التبرج إقامة الصلاة، وقد قال سبحانه وتعالى: : ﴿ وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ [العنكبوت:٤٥] وقال الله جل جلاله : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾ [البقرة:٤٥]

الحذر من الخلوة والاختلاط بالرجال

بُنيتي : المرأة بفطرتها السليمة تبتعد عن مزاحمة الرجال والاختلاط بهم، قال الله عز وجل : ﴿ ولما ورد ماء مدين وجد عليه أُمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذُودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يُصدر الرِعاء ﴾ [القصص:٢٣] فهما تنتظران ذهاب الرجال الرعاع ثم تسقيان لغنمهما.

بُنيتي : لخطورة اختلاط النساء بالرجال والخلوة بهم، فقد حذرت نصوص الشرع من ذلك وجعلت الشيطان ثالثاً للرجل الذي يخلو بالمرأة، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ألا لا يخلون رجُل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما) قال أهل العلم : (إلا كان الشيطان ثالثهما) بالوسوسة وتهيج الشهوة، ورفع الحياء، وتسويل المعصية، حتى يجمع بينهما الجماع، أو فيما دونه من مقدماته، التي تُوشك أن تُوقع فيه، والنهي للتحريم.

وإذا حدث الاختلاط بين الرجال والنساء، وحدثت الخلوة بين الرجل بالمرأة، فوقوع الفاحشة بينهما ليس بمستبعد غريب، بل قد يقال أن عدم وقوعها هو المستبعد الغريب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قام رجل فقال : يا رسول الله، اقض لي بكتاب الله، فقام خصمه فقال : صدق يا رسول الله، اقض له بكتاب الله، وائذن لي، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : (قل) فقال : إن ابني كان عسيفاً على هذا والعسيف الأجير فزنى بامرأته) فهذا الشاب لما تمت الخلوة بينه وبين زوجة من يعمل لديه زنى بها، فإذا كان هذا حدث في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وأصحابه خير القرون، فكيف بعصرنا الحاضر ؟! لا شك أن الخطر أشدَّ وأعظم، وخصوصاً مع وجود مع ما يثير ويهيج الغرائز.

بُنيتي : المرأة لا تخلو برجل أجنبي عنها إلا مع محرم لها، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم) وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : (نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ندخُلَ على المغيبات) وهي لا تخلو برجل أجنبي عنها حتى ولو كان هذا الرجل الأجنبي من أقارب الزوج، بل إن الرسول صلى الله عليه وسلم سماه الموت، فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إياكم والدخول على النساء) فقال رجل : أفرأيت الحمو، فقال صلى الله عليه وسلم : (الحمو الموت) قال أهل العلم : الحمو : أقارب الزوج كأخيه وعمه وخاله وما أشبه ذلك..وقوله صلى الله عليه وسلم : (الحمو الموت) معناها المبالغة في التحذير، أي كما تحذر من الموت فاحذر من الحمو، والموت الإنسان لا يحذر منه فقط، بل يفرُّ منه..فكأنه صلى الله عليه وسلم بالغ في التحذير من الحمو...ولا تستغربي بُنيتي أن يُحذر الرسول صلى الله عليه وسلم من ذلك، لأن خطره عظيم، قال العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله : يجب الحذر من الحمو، والشيطان يجري من بني آدم مجري الدم، ولا أخطر من هذا الأمر إطلاقاً، ونحن نسمع قصصاً ليس هذا موضع ذكرها يشيبُ منها الرأس، ونقول : كيف يقع من الإنسان هذا الشيء ؟ !

فالمرأة لا تخلو مع أقارب زوجها، ولا تخلو مع خطيبها، ولا تخلو مع الطبيب طبيبة كانت أو ممرضة أو مريضة، وهي لا تخلو مع السائق في السيارة، ولا تخلو مع الخادم الذكر في المنزل، ولا تخلو مع زميلها في العمل، ولا تخلو مع المعلم في المدرسة، ولا تخلو مع الأستاذ في الجامعة، لا تخلو مع هؤلاء جميعا، لأنهم رجال أجانب عنها، لا يجوز لها أن تخلو بهم حتى لا يقع ما لا يحمد عقباه.

بُنيتي : من حرص الإسلام على مباعدة الرجال عن النساء، أن جاءت النصوص بمنع الاختلاط بينهم حتى في أماكن العبادة، والطرق المؤدية لها، وإليكِ بعضها :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها)

وعن أبي أسيد الأنصاري رضي الله عنه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد فوجد النساء قد اختلطن بالرجال فقال لهن : (استأخرن فإنه ليس لكن أن تحققن الطريق عليكن بحافات الطريق) وعن أبي هريرة رضي الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ليس للنساء وسط الطريق) وعن أم سلمه رضي الله عنها قالت : كانت رسول الله علية الصلاة والسلام إذا سلم قام النساء حين يقضي تسليمه وهو يمكث في مقامه يسيراً قبل أن يقوم قالت : نرى والله أعلم أن ذاك كي ينصرف النساء قبل أن يدركهن الرجال) وعن أبي سعيد رضي الله عنه أنّ امرأة جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت :يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه تُعلمنا مما مما علمك الله فقال : (اجتمعن في يوم كذا وكذا في مكان كذا وكذا) فاجتمعن فأتاهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلَّمهُن مما علمه الله.

عدم التساهل في مصافحة الرجال الأجانب

بُنيتي : مما تتساهل به بعض النساء مصافحة الرجال الأجانب، مجاملةً أو إتباعاً للتقاليد، وهو أمر لا يجوز، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : ما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة قط ما كان يبايعهن إلا بالكلام) وعن أميمه بنت رقيقة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إني لا أصافح النساء) وهو يعطى انطباعاً للرجل أن هذه المرأة متساهلة، وقد يغريه الشيطان بها.

عدم الخضوع بالقول مع الرجال الأجانب

قال عز وجل : ﴿ فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً ﴾ [الأحزاب:٣٢] قال أهل العلم : المعني : لا يكُن قولكن في مخاطبة الرجال رقيقاً وضيعاً هيناً، لأن المرأة فتنة، فإذا خضعت بالقول دبَّ الشيطان بينها وبين الرجل الذي تخاطبه مهما كان الإنسان فيه من شرف ومن نزاهة، فإن المرأة إذا خاطبته بصوت خاضع، فإنها قد تغُرُّه، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : (ما رأيتُ من ناقصات عقلٍ ودينٍ أذهب للُبِّ الرجُل الحازم من إحداكن)

والرجل الحازم الفطن الكيس لا أحد يُذهب لُبَّه مثل ما تُذهبه المرأة، ولهذا قال سبحانه وتعالى: ﴿ فلا تخضعن بالقول ﴾ بل يجب على المرأة أن تكون عند مخاطبة الرجال من أبعد ما يكون على الخضوع بالقول، ولين القلب، وظرافته، بحيثُ يؤدي إلى هذا الأمر العظيم، وهو قوله سبحانه وتعالى : ﴿ فيطمع الذي في قلبه مرض ﴾ يطمع فيكُنَّ، إما بفعل الفاحشة، أو بالتمتُّع والتَّلذُّذ بخطابهن.

فإن الإنسان الذي في قلبه مرض إذا خضعت له المرأة بالقول فإنه يستمرُّ معها في مخاطبتها حتى يُغريه الشيطان، وربما يحصل بعد ذلك موعد ولقاء وفاحشة.

بُنيتي : إن أنتِ فعلتِ ما ذكرتُ لكِ من أمور، فسوف تسلمين بإذن الله من أن تكوني فتنةً للرجال، أو مفتونة بهم، وعند ذاك ستسلمين من الذنوب والأوزار، ولن تكوني نافذة مفتوحة يلج منها الأعداء ومن في قلوبهم مرض لتقويض بنيان المجتمع المسلم، وسيكون أبناء هذا المجتمع رجالاً ونساءً فخورين بكِ، معتزين بك.

حفظكِ الله وجميع بنات المسلمين من كل مكروه وسوء، ووفقكن لكل خير، وجنبكن كل شر.

الرسالة الخامسة :

التشبه بالرجال انحراف عن الفطرة وطلب المساواة معهم تأباه الشريعة والحكمة

بُنيتي : فالله سبحانه وتعالى حكم عدل، فما فضل الله به بعض الناس على بعض، سواء بسبب الذكورة، أو بسبب الغني، أو العلم، أو الصحة أو المال، أو غير ذلك، فهو من فضل الله، وعلى العبد أن يرضي بما كتب الله له، ولا يتمنى ما فضل الله به غيره عليه، لأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، فلا تتمنى المرأة أن تكون رجلاً، قال الله عز وجل :﴿ ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعضٍ للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن وسئلوا الله من فضله إن الله كان بكل شيءٍ عليماً ﴾ [النساء/٣٢] ذكر بعض أهل العلم : أن الآية نزلت بسبب قول بعض النساء لما أنزل الله تعالى:﴿ للذكر مثلُ حظِّ الأُنثيين ﴾ [النساء/١١] فقال بعضهن : يا ليتني كنت ذكراً، حتى يكون لي مثل الذكر ولا أنقص عنه.

بُنيتي : لقد خلق الله سبحانه وتعالى الرجل رجلاً، والمرأة امرأةً، لكل واحد منهما خصائصه الجسدية والنفسية والعقلية، وجعل بينهما فوارق طبيعية لا يُمكن إنكارها، ولذا فإن محاولة أيَّ واحداً منهما التشبه بالآخر، تمرد على خلق الله عز وجل، ورفض لحكمة أحكم الحاكمين التي اقتضت أن يكون في المجتمع الإنساني ذكوراً وإناثاً، يقوم كل واحداً منهما بأعمال لا يستطيع الآخر القيام بها.

والتشبه انحراف عن الفطرة، ودليل على عقلية فاسدة، وهو أمر مستقبح يأباه الشرع، وتنفر منه النفوس السوية، والعقول السليمة، فالعاقلة من النساء ولو كانت غير مسلمة تريد أن تظل امرأة لها أنوثتها، لأنها تعلم أن التشبه بالرجال يقضي على أنوثتها، وراحتها النفسية، وطمأنينة قلبها.

بُنيتي : قد جاءت النصوص بالتحذير من تشبه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال، ورتبت على ذلك عقوبات عظيمة.

منها : أنها ملعونة في كتاب الله وعلى لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين بالنساء من الرجال.

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لعن الله الرَّجُلة من النساء) واللعن وهو الطرد عن رحمة الله، قال أهل العلم : الحكمة في لعن من تشبه : إِخرَاجُهُ الشيءَ عن الصفةِ التي وضعها عليه أحكم الحكماء.

ومنها : عدم دخول الجنة، فعن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ثلاثة لا يدخلون الجنة : العاقُّ لوالديه، والدَّيوثُ، ورجُلةُ النساء) وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ثلاثة لا يدخلون الجنة أبداً الدَّيوثُ والرجلة من النساء ومدمن الخمر) قال أهل العلم : لا يدخلون الجنة، أي مع السابقين الأولين، أو من غير سبيق عذاب

ومنها : عدم نظر الله جل جلاله إليها يوم القيامة نظر رحمة، فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة : العاقُّ لوالديه، والمرأةُ المترجِّلةُ المتشبِّه بالرِّجال، والدَّيوثُ)

ومنها تبرؤ رسول الله صلى الله عليه وسلم منها، فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(ليس منَّا من تشبه بالرجال من النساء ولا من تشبه بالنِّساء من الرِّجال) قال أهل العلم : قوله صلى الله عليه وسلم (ليس منا) يدل على البراءة ممن فعل هذا، وأنه من الكبائر.

بُنيتي : اللباس من أكثر الأشياء التي تتشبه فيها المرأة بالرجل، فعن ابن أبي مليكة رضي الله عنه قال : قيل لعائشة رضي الله عنها : إن امرأة تلبس النعل، فقالت : لعن رسول الله عليه الصلاة والسلام الرجلة من النساء.

قال أهل العلم: الرجلة: بمعنى المترجلة وهي المرأة التي تتشبه بالرجال في زيهم وهيآتهم

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لعن الله الرجل يلبس لِبسَةَ المرأة، والمرأة تلبس لِبسَةَ الرجل)

فاحذري أن تتشبه بالرجال في لباسهم، والبنطال من أكثر الأشياء التي تتشبه فيها النساء بالرجال، وهو محرم كما ذكر أهل العلم لأنه يجسد مفاتن المرأة، ولأن فيه تشبه بلباس الرجال.

بُنيتي : إن محاولة بعض النساء التشبه في الرجال في بعض الصفات والحركات وما أشبه ذلك محاولة فاشلة، وستجعلها مسخاً لا هي أنثى ولا هي ذكر، ولذا سميت من تتشبه بالرجال بـ " الجنس الثالث " لأنها قضت على حيائها اللائق بشرفها ومروءتها وإنسانيتها، ومن ثم فقدت أنوثتها فلم تعد امرأة، فعافها الرجال وانصرفوا عنها، فصارت جنساً ثالثاً، جنس ليس فيه صفات الذكورة الحقة، ولا الأنوثة الحقة، جنس عار على مجتمعه وعبء ثقيل لا يجلب أي نفع بل لا نفع فيه ولا فائدة وهن لا يشعرن بسعادة لأنهن خالف فطرة الله عز وجل وقد أُصيب الكثير منهن بحالة من الكآبة.

بُنيتي : تشبه المرأة بالرجل البوابة الأولى التي يزينها الشيطان لبعض النساء ليصل من خلالها إلى طلبهن المساواة مع الرجل في كل شيء، وهذه الدعوة تأباه الشريعة والحكمة، فالمرأة ليست كالرجل، لا في الطبيعة، ولا في الأخلاق، ولا في المعاملة، بل ولا في الأحكام في بعض الأحيان.

بُنيتي : شريعة الإسلام التي تنتسبين لها، لم يأتِ في نصوصها من آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول علية الصلاة والسلام، ما يأمر بالمساواة أبداً، بل جاءت النصوص بنفي المساواة، يقول الله جل جلاله : ﴿ هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون ﴾ [الأنعام:٥٠] وإنما جاءت النصوص بالعدل، يقول الله عز وجل : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان ﴾ [النحل:٩٠] وقال عليه الصلاة والسلام : (اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم) فالشريعة تأمر بالعدل وليس المساواة، والعدل إعطاء كل ذي حق ما يستحقُّه، وتنزيل كل ذي منزلة منزلته، هذا هو الموافق للمعقول والمنقول.

بُنيتي : المساواة لا تكون بين الأمور المختلفة، فهذا خلاف المعقول والمنقول، يقول الله جل جلاله : ﴿ فلما وضعتها قالت ربِ إني وضعتها أُنثى والله أعلمُ بما وضعت وليس الذكر كالأُنثى ﴾ [آل عمران:٣٦] فالذكر ليس كالأنثى، قال أهل العلم : إذا انتفت مساواة الذكر للأنثى انتفت مساواة الأنثى للذكر، لأن التساوي يكون بين شيئين، فإذا انتفت المساواة في أحدهما لزم أن تكون منتفية في الآخر، فلا مساواة بين الذكر والأنثى، بل لكل واحد منهما ميزاته وخصائصه، وعلى هذا يا بُنية فإن مطالبة بعض النساء بالمساواة مع الرجل، مطالبة مخالفة للفطرة والشريعة، فلا يمكن أن نسوى بين صنفين فرَّق الله بينهما خلقاً وشرعاً، فالخلق الأمر فيه واضح، فالرجل يختلف اختلافاً كثيراً عن المرأة في القوة البدنية والعقلية والفكرية، وأما شرعاً : فهناك أحكام يطالب بها الرجل ولا تطالب بها المرأة، وأحكام تطالب بها المرأة ولا يطالب بها الرجل، وقد ذكر بعض أهل العلم : أن الفروق بينهما في الأحكام الشرعية تزيد على المائتين، وهذا الاختلاف يدل على أن طلب المساواة شيء تأباه الفطرة والخِلقة والحكمة والعقل، فهي فكرة لا تقبلها العقول السليمة ولا الفطر السوية.

بُنيتي : إن فكرة المساواة دعوة قد يكون في ظاهرها الرحمة في اعتقاد بعض النساء اللائي لم يعرفن خفاياها، لكن الحقيقة أن في باطنها العذاب، فأنتِ إذا تأملت هذه الدعوة وجدتِ إنها دعوة لا يمكن أن تستقيم بها الحياة الزوجية، فالزوج يريد أن تكون له القوامة علي زوجته، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ﴾ [النساء:٣٤] والزوج يريد أن يسكن إلي زوجته، قال جل جلاله : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها ﴾ [النساء:٢١] وهذا لن يتم إذا كانت العلاقة قائمة بينهما على المساواة والندية، والتضاد والتصادم، وبالتالي فلن يكون هناك مودة ورحمة التي هي أساس الحياة الزوجية، فالمودة والرحمة تكون مع التكامل والتعاون، وقيام كل طرف بما يجب عليه من مهام حسب الصفات والمميزات التي خصها الله سبحانه وتعالى به، تقول زعيمة " حركة كل نساء العالم " : هناك بعض النساء حطمن حياتهن الزوجية عن طريق إصرارهن على المساواة بالرجل..يجب على المرأة أن تعيش في بيت الزوجية، وأن تنسى كل أفكارها حول المساواة، ثم تتحدث عن نفسها فتذكر أنها كثيراً ما تسببت في إزعاج زوجها بسعيها المتواصل من أجل المساواة، ولكنها اكتشفت بعد ذلك أن هذا السعي كان السبب الرئيس وراء كل خلافاتها مع زوجها.

بُنيتي : إن مساواة المرأة بالرجل في الحقيقة إفساد للأسرة، فالأب له دور في الأسرة، والأم لها كذلك دورها، فإذا تساويا فمن يقوم سيقوم بمهام الآخر ؟ ! وأهم شيءٍ في تلك المهام : الحنان والشفقة والعطف الذي تتميز به الأم عن الأب، فمن سيمنح الأطفال الصغار العطف والحنان ؟! فضرر المساواة يتعدى ضرره إلى الأولاد من ذكور وإناث.

بنيتي : قد تسألين وتقولين : من أين جاءت هذه الدعوة الغريبة ؟ فالجواب أنها جاءت من أقوام كانت المرأة تعاني عندهم من إهمالٍ لها، وتميزٍ في المعاملة، وعدم إعطاءٍ لحقوقها، من أجل ذلك قامت المرأة تطالب بمساواتها مع الرجل، فاستغل ذئاب البشر وشياطين الإنس مطالبة المرأة بذلك، فكانت الاتفاقيات والمؤتمرات التي نصت على المساواة التامة بين الرجل والمرأة في جميع ميادين ومجالات الحياة المختلفة، فظاهر الأمر أن المرأة كسبت، ولكنها في الواقع هي الخاسرة، لأنهم لما جعلوها مساوية للرجل في كل شيء ولم يراعوا فطرتها وطبيعتها وتكوينها، كلفوها ما لا تطيق من باب تكريمها وإعطائها حقوقها، هكذا زعموا، والنتيجة أن ذاقت المرأة ويلات هذه المساواة، فهذه المساواة جعلتها تستغني عن الرجل فأدى هذا إلى تعدى الرجال عليها، لأنها خسرت الرجل الذي كان يحميها زوجاً كان أو أخاً أو أباً.

وهذه المساواة جعلتها تترك بيتها وعشها الأمن لتبحث عن عمل، فالرجل الذي طلبت المساواة معه لم يعد ينفق عليها فخرجت لتعمل مما أدى إلى استغلالها، إذ صارت تقبل أن تعمل بأي عمل تجده مهما كان ضئيل المردود، ومهما كان مجهداً منهكاً لجسدها، وأهم من هذا كله ما يصاحبه من تنازلات في شرفها وعرضها، فهذه المساواة بُنيتي جعلت المرأة تخسر الأمان والعطف والراحة والاستقرار بل فقدت السعادة كلها.

هذه النتائج السيئة لما يسمي " مساواة المرأة بالرجل "، جعلت العاقلات من نساءهم يرجعن عن هذه الدعوة ويعلن : أن الرجل خدع المرأة بهذه الدعوة، فامتصها زهرة وتخلى عنها بعد أن ذبلت، وأصبحن يُنادين بأن المرأة تختلف عن الرجل، وأن لها صفات وخصائص تميزها عن الرجل، فالحمد لله يا بنيه على نعمة الإسلام، وعلى تكريم الإسلام للمرأة فتمسكي بتعاليمه تسعدي.

الرسالة السادسة :

الدراسة لتعلم العلم النافع في الدنيا والآخرة

بُنيتي : إن الإنسان لضعفه وقصور نظره قد يختارُ العاجل الرخيص على الآجل النفيس، فالنفس مُولعة بحب العاجلة وإيثارها على الآخرة، قال الله جل جلاله : ﴿ بل تُؤثرون الحياة الدنيا ۞ والآخرة خير وأبقي ﴾ [الأعلى:١٦-١٧] فأكثر الناس يقدمون ما فيه نفعهم في الدنيا على ثواب الآخرة، قال أهل العلم : الدنيا دار فانية، والآخرة شريفة باقية، فكيف يؤثر عاقل ما ينفي على ما يبقي، ويهتم بما يزول عنه قريباً، ويترك الاهتمام بدار البقاء والخلد ؟! وبناء على هذا فينبغي أن يحرص الإنسان رجلاً كان أو امرأة، في كلِّ أموره على ما ينفعه في دنياه وآخرته، وأن يؤثر آخرته على دنياه.

بُنيتي : وإن مما ينفع العبد في دنياه وآخرته، تعلم العلم النافع، الذي هو فقه كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فأهم ما ينبغي أن تتعلمه الفتاة المسلمة هذا العلم، الذي يجعلها تعبد الله على بصيرة، ويمكنها من معرفة أحكام دينها، كما أنه يُنير لها الطريق في كيفية التعامل مع الناس على أساس قويم سليم متين.

هذا العلم يا بُنية من أفضل الأعمال الصالحة، ومن أجل عبادات التطوع، ولقد مدحه الله جل جلاله في كتابه، وجاءت السنة بذكر فضائله، وقد ألف في بيان فضله وشرفه : المصنفات الكثيرة، فمن فضائله :

أن الله جل جلاله أمر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن يسأله الزيادة منه، فقال الله عز وجل : ﴿ وقُل ربِّ زدني علماً ﴾ [طه:١١٤] قال أهل العلم : وكفى بهذا شرفاً للعلم أن أمر نبيه أن يسأله المزيد منه.

ومنها : رفعة درجات أهله في الدنيا والآخرة، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ يرفع الله الذين أُمنوا منكم والذين أُوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير ﴾ [المجادلة:١١]

ومنها : أن أهله هم أهل خشية الله، قال سبحانه وتعالى : ﴿ إنما يخشي الله من عباده العلماء ﴾ [فاطر:٢٨] قال أهل العلم : وهذا حصر لخشيته في أولي العلم.

ومنها : أنه طريق إلى الجنة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهَّل الله له به طريقاً إلى الجنة)

ومنها : أن من فقه في هذا العلم فقد أراد الله به خيراً، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من يُرد الله به خيراً يفقه في الدين) قال أهل العلم : ولو لم يكن من نصوص الكتاب والسنة إلا هذا الحديث في فضل العلم لكان كاملاً في الحثِّ على طلب علم الشريعة والفقه فيها.

بُنيتي : إن الخلق جميعاً في حاجةٍ ماسةٍ لهذا العلم، فهو نور يستضيئون به في أمور دينهم ودنياهم، فمن تعلم هذا العلم فقد اتخذ مصباحاً يمشي به بين يديه، يدُلُّه على الطريق، وتزداد الحاجة إلى هذا العلم في هذا الزمن لجهل كثير من الناس أحكام دينهم، ولظهور أناس يتطلعون إلى الإفتاء بغير علم.

بُنيتي : هذا العلم يجعلك من الداعيات إلى الله على بصيرة، وأجر الدعوة إلى الله عظيم، قال عز وجل: ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾ [فصلن:٣٣] قال أهل العلم : ولا ريب أن هذا الثناء يحفز الهمم ويلهب الشعور ويخفف عبء الدعوة، ويدعو إلى الانطلاق في سبيلها بكل نشاط وقوة، وقال علية الصلاة والسلام : (من دلَّ على خير فله مثل أجر فاعله) وهو يدل على أن من دعا إلى الخير وأرشد إليه كان له مثل أجر فاعله وهذه فضيلة عظيمة للدعوة إلى الله.

بُنيتي : المقصود بالعلم في كلامنا السابق : هو علم الشريعة وما عداه من علوم فهي ثلاثة أنواع : علوم نافعة : فهذه تكون مطلوبة لا لذاتها ولكن لما يرجي فيها من نفع

علوم ضارة : وهذه يجب اجتنابها والبعد عنها.

علوم غير نافعة ولا ضارة : فهذه لا ينبغي للإنسان أن يضيع وقته فيها.

بُنيتي : يقول أحد الفضلاء : المرأة المسلمة حين تتجه إلى التعليم والاختصاص تضعُ نصب عينيها هدى الإسلام العظيم في تكوينها العقلي والنفسي والاجتماعي، بحيث يؤهلها تعلمها للقيام بالمهمة الأساس التي خُلقت من أجلها، وبحيث تغدو شخصية واعية منتجة بناءة في أسرتها ومجتمعها وأمتها...فليس من الحكمة أن يكون تعليمها كتعليم الرجل في كل شيء، ولا تكون نسخة مماثلة للرجل.

بُنيتي :أهل العلم يرون أن أفضل الكليات في الجامعات هي الكليات الشرعية فانظري في العلم الذي ترغبين التخصص فيه، بعد انتهائك من دراسة المرحلة الثانوية، ورغبتكِ مواصلة دراستكِ الجامعية، فإن كان علم يزيد في إيمانكِ، وخشيتكِ لربك، وينفعكِ في دينكِ ودنياكِ، ولا يُخلُّ بأنوثتكِ، ولا يجعلكِ ترتكبين لتحصليه ما نهاك الشرع عنه فاطلبيه، وإن غير ذلك فتوقفي ملياً وتفكري ما الفائدة منه ؟

بُنيتي : ذكر أهل العلم : أن السعادة الحقيقية.هي سعادة العلم النافع.وأنها هي السعادة الباقية على تقلُّب الأحوال والمصاحبة للعبد في جميع أسفاره وفي دوره الثلاثة دار الدنيا ودار البرزخ، ودار القرار، وبها يترقى العبد في معارج الفضل، ودرجات الكمال.

فكوني بُنية من أهل هذه السعادة الدائمة الباقية، وذلك بالمسابقة والمسارعة إلي طلب العلم النافع، وستجدين كل خير وبركه، وفّقكِ الله للحصول عليه، وجعلكِ من السعداء في دورك الثلاث.

الرسالة السابعة :

الزواج استقرار للنفس وراحة للقلب

بُنيتي : الزواج فطرة جبلية مركوزة في كل نفس سوية من الرجال والنساء، فبه يحصل السكن والاستقرار النفسي، وبه يحصل التحصين والاستمتاع، وبه يوجد الأولاد الذين هم من زينة الحياة، ولهذا شرعه الله جل جلاله لعباده، قال عز وجل : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾ [الروم:٢١]

بُنيتي : تتوهم بعض الفتيات أنها تستطيع أن تعيش بدون زواج، وهي إن استطاعت أن تبقى على قيد الحياة بدون زواج، فإنها لن تستطيع أن تعيش حياة نفسية مستقرة هانئة بدون زواج، ولهذا تخطيء كثيراً من ترفض الزواج بحجة أنها مُكرمة عند أهلها، فالمرأة بحاجة للزواج، قالت أم لابنتها : أي بُنيّة، لو استغنت المرأة عن زوجها بغني أبيها..لكنت أغنى الناس عنه، ولكن النساء خُلقن للرجال، كما لهن خُلق الرجال.

يقول أحد المشايخ الفضلاء رحمه الله : البنت مهما بلغت من المنزلة والغنى والشهرة والجاه، لا تجد أملها الأكبر وسعادتها إلا في الزواج، وفي أن تكون زوجة صالحة، وأماً موقرة، وربة بيت، سواء في ذلك الملكات والأميرات، فالزواج أقصى أماني المرأة.

بنيتي : الزواج المبكر لها فوائد كثيرة، والله قد هيأ المرأة فطرياً للحمل والإنجاب، فإذا عطلت هذه الأعضاء لفترة طويلة، فإنها قد تضمر وتفقد وظيفتها الحيوية، فمن ترفض الزواج المبكر تعرض نفسها لهذه المخاطر، كما أنها قد لا تستيقظ إلا متأخراً بعد أن فاتها قطار الزواج، فهذه طبيبة رفضت الزواج في بداية عمرها بحجة إكمال الدراسة واستمر الرفض بعد انتهاء الدراسة بحجة العمل، قالت بعد أن تقدم بها العمر وتوقف الخُطّاب عن طرق باب بيت أهلها : خذوا شهادتي وأعطوني زوجاً.

بُنيتي : المواصفات التي ينبغي أن يكون عليها القبول أو الرد في الخاطب الذي يتقدم : الدين والخلق، طاعةً لله تعالى ورسوله علية الصلاة والسلام، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، إلا تفعلوا تكن فتنة وفساد عريض) فهذه وصية الرسول عليه الصلاة والسلام من عملت بها نالت كل خير، فهذه أم المؤمنين زينب بنت حجش رضي الله عنها قبل أن يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم تضرب أروع الأمثلة في امتثالها أمر الله ورسوله، فقد خطبها الرسول عليه الصلاة والسلام لمولاه : زينب بن حارثة رضي الله عنهما، فأبت رضي الله عنها وقالت : لست بناكحته..أنا خير منه حسباً، فأنزل الله عز وجل: ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخِيرةُ من أمرهم ﴾ [الأحزاب/٣٦] فقالت رضي الله عنها : قد رضيته لي يا رسول الله منكحاً ؟ قال : نعم، قالت : إذاً لا أعصى رسول الله، قد أنكحته نفسي، ثم تزوجها رضي الله عنهما، فحدث بينهما خلافات انتهت بالطلاق، فتزوجها بعد ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فطاعة الله ورسوله فيها كل الخير والبركة.

إن الفتاة المسلمة العاقلة يا بُنيتي عندا تريد الزواج لا يغرها جمال الهيئة، وأناقة المظهر، ورفعة المنصب، ومظاهر الثراء، وما إلى ذلك من صفات تستهوي عادة غالب النساء، وإنما تقف عند دين وخلق الخاطب، فهما عماد بيت الزوجية الناجح، وبهما بعد توفيق الله، تكون الحياة الزوجية المستقرة، التي تُعالج كلُّ مشكلة فيها بحكمة.

بُنيتي : ما يُسمى بالعلاقات ما قبل الزواج لمعرفة كل طرف للآخر، هذه علاقة محرمة لأنها تقوم على علاقة بين امرأة ورجل أجنبي عليها، وكم حدث منها من مآسي ومصائب، فبعد أن يألف الطرفان هذه المجالس المنفردة، يأتي الشيطان ويُزين لهما ما حرم الله ولا غرابة في ذلك فهو ثالثهما، ثم يحدث ما لم يكن في حسبان الفتاة وتصورها أنه سيحدث، فتستيقظ على المأساة وعلى الكارثة العظيمة وقد حلت بها، لقد ضاعت وفقدت أغلى شيء لدى المرأة، وتزداد المأساة وهو المتوقع أن ينسحب هذا الخاطب من حياتها، ويتركها تتجرع مأساتها لوحدها، وهذه العلاقة بُنيتي لو كان فيها خير للخاطبين لأرشد لها الإسلام، كما أرشد لرؤية كل واحد منهما للأخر مع وجود محرم الفتاة، فهي علاقة محرمه لن يكون فيه بركة، وقد أثبتت بعض الدراسات والأبحاث أن أكثر حالات الطلاق جاءت من زيجات سبقها علاقة قبل الزواج

بُنيتي : كل فتاة يتقدم لها رجل للزواج بها بعد أن تتم الموافقة عليه تتمنى أن تعيش معه في سعادة وراحة بال، وهي أمنية نتمنى أن تتحقق لكل فتاة مؤمنة، لكن تخطئ بعض الفتيات من حيث لا تقصد ولا تشعر، وذلك عندما تفتتح ليلة زواجها بمعاصي ومنكرات من إسراف في الولائم، ومن تبرج، واختلاط، ومن استئجار قصور أفراح باهظة الأثمان، فهذه من أهم الأسباب في عدم تحقيق السعادة والوفاق بين الزوجين، فالله جل جلاله يقول : ﴿ وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم ﴾ [الأنفال:٦٣] فإذا كان الله سبحانه وتعالى هو الذي يؤلف بين قلوب العباد، ومن ذلك قلوب الزوجين، فكيف ترجو الفتاة أن يؤلف بينها وبين قلب زوجها وهي تعصيه في أول ليلة من زواجها ؟!

إن من تبدأ زواجها بهذه البداية قد لا يحالفها التوفيق وقد تنتهي الحياة الزوجية بعد مدة قصيرة بالطلاق والفراق، وإن استمرت الحياة فمع وجود المشاكل والخلافات، فليكن الزواج يا بنية مختصراً على الأقارب من غير إسراف ولا تبذير ولا منكرات.

بُنيتي : من أجمل الصفات في الزوجات رعاية الأزواج وقد مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء قريش بها، فقال: (خيرُ نساء ركبن الإبل نساءُ قريش....وأرعاه على زوج في ذات يده) وبقيامك بما تتطلبه هذه الصفة من مهام تنجحين بعد توفيق الله لك في حياتك الزوجية، وتسعدين مع زوجك، فاجعليها شعاراً لك، وابذلي يا بُنية ما تقدرين عليه لاستمالة قلب زوجكِ إليك، بالتودد والتحبب، والظهور بالمظهر الحسن، والكلمة الطيبة، والمعاشرة بالمعروف، وشاركيه همومه ومسراته، وأفراحه وأتراحه، احرصي على إرضائه وإدخال السرور على نفسه، وأطيع زوجكِ في غير معصية الله

بُنيتي : اصبري واحتسبي على ما قد ينالك من تعب من عمل البيت، فسيدة نساء الجنة بنت أفضل البشر، فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم، زوج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، كانت تشكو من الرحى، وأسماء بنت أبي بكر، تقوم بخدمة زوجها الزبير رضي الله عنهم، فكانت تسوس فرسه وتعلفه، وتعجن الخبز،

بُنيتي : إن كنت موظفة عاملة، فلا يعني هذا إهمال البيت والزوج والأولاد، فلا بد من إعطاء كل ذي حق حقه، يقول عليه الصلاة والسلام : (كُلّكم راعٍ وكُلكم مسئول عن رعيته....والمرأة راعية على بيت زوجها وولدها) فأنتِ بُنية مسئولة عن الزوج والأولاد وليست الخادمة أو المربية، والاستغناء عنهما هو الأفضل والأكمل وكم تسبب وجودهما من مآسي للأطفال، ومن حوادث مشينة للكبار، وإذا لم تستطيعِ الموازنة بين البيت والعمل، فقدمي الأهم وهو البيت والزوج والأولاد.

بُنيتي : من أكبر الأخطاء التي تقع فيها بعض الزوجات العاملات اعتقادهن أن الرابطة بينها وبين زوجها رابطة إنفاق، فما دام أنها تنفق على نفسها من راتبها، فلا قوامة لزوجها عليها، ولا طاعة له بالمعروف، ولها أن تعمل ما تشاء أذن أو لم يأذن، وهذا نذير خطير بانتهاء هذه العلاقة الزوجية، التي تقوم على الحب والمودة، فالعلاقة الزوجية ليست شركة اقتصادية لغة التعامل فيها الأرقام والحسابات.

بُنيتي : بعض النساء قد يهبهن الله جل جلاله جمالاً وبهاءً وحسناءً، فمنهن من يكون جمالها وبالاً عليها، ومنهن من تعرف نعمة الله عليها بهذا الجمال، فتشكر الله عليه، فتزداد مع جمالها الحسي جمالاً معنوياً، تقول باحثة في رسالتها لنيل شهادة الدكتوراه : سارة زوج إبراهيم عليه السلام...على الرغم من أنها كانت ذات جمال أخاذ...لكن جمالها لم يقدها إلى الغرور والتكبر والتطاول على زوجها، كما لم توقف هذا الجمال على غير زوجها، فكانت متواضعة، صابرة، عفيفة، حيية...وكانت قائمة بخدمة زوجها وضيوفه حتى بعد أن كبرت سنها ورق عظمها..إن كثيراً من النسوة الممتازات بالحسن الأخاذ قد يعتري نفوسهن العجب، وقد يقودهن إلى التكبر على أزواجهن، والترفع عن ابتذال أنفسهن لخدمتهم !..وإن منهن من يقودها الغرور إلى كشف زينتها عند من لا يحل له النظر إليها، فتضنُّ بجمالها أن يقصر على زوجها فتفتن الرجال، ويلذّ لها أن يطرق مسمعيها عبارات ثنائهم وإعجابهم...وإنه لا أعظمُ من الإيمان، يهذبُ النفوس المترفعة، والدواخل المغرورة المتكبرة، فلقد كان إيمان سارة وتقواها خير معين لها على العفة والتواضع.

بُنيتي : لا توجد حياة زوجية بدون مشكلات، لكن العاقل من يحاول أن يقلل منها ابتداءً، ثم يعالجها بالحكمة انتهاءً، ومن أهم ما يُنصح به في هذا المجال، عدم إخراج هذه المشكلات للآخرين، فكم من مشكلة بين الزوجين كان بالإمكان حلها تدخل فيها الأقارب ففسدت العلاقة بين الزوجين، فإن كان لا بد من إخبار أحد ليقوم بالإصلاح فليكن إنساناً عاقلاً حكيماً ذو تجربة، قريباً كان أو بعيداً.

بنيتي : إياك أن تنهي حياتك الزوجية بدون أن تشاوري أحداً، فالمسائل العظام لا بد لها من استشارة ورسول الله صلى الله عليه وسلم استشار على بن أبي طالب وأسامة بن زيد رضي الله عنهما عندما تكلم من في قلوبهم مرض والمنافقون في عرض أم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما، والإنسان مهما بلغ ضعيف بنفسه، قوي برأي غيره، وملكة بلقيس كانت لديها أسباب القوة المادية ومع ذلك شاورت قومها عندما جاءها خطاب سليمان عليه السلام، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنتُ قاطعة أمراً حتى تشهدون ﴾ [القصص:٣٢] أي حتى تشيرون.

وينبغي أن يكون المستشار ناصحاً محباً، واحذري العجلة في طلب الطلاق فبعض النساء تأتي إلى زوجها وتُلحُّ عليه أن يطلق، فإذا طلَّق فهي أول من يبكي في مكانها وتندم، قال أحد كبار العلماء رحمه الله : المرأة...أحياناً تُمسك الزوج، وتأخذ بتلابيه، حتى إنها ربما تخنقه، تقول : طلقني، فيقول : أنت طالق...ثم إذا قال ذلك : صرخت وقامت تولول وتبكي حزناً، وهذا شيء مشاهد ودائماً يأتي الناس يستفتون عن هذا.

بُنيي : خاتمة هذه الرسالة ما قالته أم لابنتها توصيها ليلة زفافها، قالت لها : بُنية، إنكِ قد فارقت الجو الذي منه خرجتِ، والعُشَّ الذي فيه درجتِ، إلى وكرٍ لم تعرفيه، وقرين لم تأليفه، فأصبح بِملكِهِ عليكِ مليكاً، فكوني له أمةً يكن لكِ عبداً.

الرسالة الثامنة :

الحب والحنان والعدل والدعاء أفضل عطاء لِفلذة كبدكِ

بُنيتي : الأم الحنون صاحبة العاطفة الجياشة، هي التي تربي العظماء، فما أغدقت أم على أبنائها أفضل من أن تمنحهم الحنان الفياض المركوز في فطرتها، ولنا في سيرة رسول الله صلى الله عليه خير أسوة، فقد كان يُكن كل حنان وشفقه لبناته، فقد رقَّ رقة شديدة لأبنته زينب لما رأى القلادة التي بعثتها في فداء زوجها أبي الربيع بن العاص رضي الله عنهما، فعن أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها قالت : لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم، بعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في فداء أبي العاص بن الربيع بمال، وبعثت فيه بقلادة لها كانت لخديجة رضي الله عنها أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى بها، قالت : فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رقَّ لها رقة شديدة، وقال : (إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، وتردوا عليها الذي لها، فافعلوا) فقالوا : نعم يا رسول الله، فأطلقوه، وردوا عليها الذي لها.

وابنته فاطمة رضي الله عنها فقد كان يرحب بها، ويغضب لغضبها، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنه، قالت : كنّ أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عنده، لم يغادر منهن واحدة، فأقبلت فاطمة رضي الله عنها تمشي، ما تخطي مشيتها من مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رآها رحب بها، فقال :(مرحبا بابنتي) وقال: (فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها فقد أغضبني)

وشملت شفقته وحنانه عليه الصلاة والسلام بنت ابنته زينب " أمامة بنت أبي العاص " رضي الله عنهم، فقد علية الصلاة والسلام، يحملها على عاتقه في الصلاة، فإذا ركع وضعها وإذا رفع من السجود أعادها.

بُنيتي : أرضعي أطفالك رضاعة طبيعية، قال عز وجل: ﴿ وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه ﴾ [القصص:٧] فالرضاعة الطبيعية تُشبع عاطفة الأمومة لدي الأم، وذلك حين تحتضن صغيرها، وتدنيه من صدرها، فيحدث بينهما تقارب نفسي وعاطفي يؤدي إلى استقرار نفسية الأم والرضيع الصغير، فاحرصي بُنيتي على إرضاع صغارك رضاعة طبيعية، فأنتِ بذلك ترضعينهم الحنان قبل الحليب، الحنان الذي يجعلهم يحبونك ويحنون عليك عندما تكبرين وتهرمين، فيأتي وقت رد الجميل أمنحيهم الحنان صغاراً يردونه لك إحساناً وجميلاً كباراً.

بُنيتي : أغدقي على أطفالك الحب العميق، فحب الأم لطفلها يمنحه الاستقرار والأمن والطمأنينة، والحب الذي تمنحه الأم لطفلها، لا يستطيع غيرها أن يمنحه إياه، وهو الذي يعلم الطفل الحب، وقد ذكرت بعض الدراسات إن رابطة الحب بين الطفل ومن تربطهم بالطفل أصول أسرية من أهم الأسباب بعد حفظ الله عز وجل التي تمنعه من ارتكاب الجريمة، وحب الأم لطفلها يمنحه الاستقرار والأمن والطمأنينة والصحة النفسية السوية، وبدونه ينشأ قلقاً مضطرباً.

بنيتي : كل أم تتمنى لأبنائها فلذات كبدها كل خير وصلاح، والدعاء للأبناء من أهم الأسباب لذلك، ومن أسباب حفظهم من شياطين الإنس والجن، قال عز وجل : ﴿ إذ قالت امرأة عمران ربِّ إني نذرت لك ما في بطني مُحرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم ۞ فلما وضعتها قالت ربِّ إني وضعتها أُنثى واللهُ أعلمُ بما وضعت وليس الذكر كالأُنثى وإني سميتها مريم وإني أُعيذها بِكَ وذُريتها من الشيطان الرجيم ﴾ [آل عمران:٣٥-٣٦] لقد ختمت مناجتها لربها بالدعاء لابنتها أن يعيذها الله وذريتها من الشيطان الرجيم ولم يقتصر دعائها لابنتها بل دعت لذرية ابنتها :عيسي عليه السلام.

وقد استجاب الله الكريم لدعائها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما من مولد يولد إلا مسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخاً من مسه إياه إلا مريم وابنها) فأكثري بُنيتي من الدعاء لأبنائكِ ولذريتهم، ولا تكلي ولا تملي، فدعائك لهم عبادة يسيرة تؤجرين عليها، ودعائك مستجاب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن : دعوة الوالد والمسافر والمظلوم) والوالد تدخل فيه الأم

لقد دعت بُنيتي بعض النساء لأبنائهن فاستجاب الله جل جلاله لهن، فصار هؤلاء الأبناء أعلاماً في الهدي، ونفع الله بهم، كل ذلك بتوفيق الله ثم بدعاء أمهاتهم لهم.

بُنيتي : العدل مطلوب في كل الأمور، ومع كل الناس، فاعدلي بين أبنائك، واحذري التفرقة بينهم في المحبة والإيثار، ولهذا لما ظنَّ إخوة يوسف أن أباهم يقدم يوسف عليهم في المحبة، جرى منهم ما جرى، قال الله عز وجل : ﴿ إذ قالوا ليوسف وأخيه أحبُّ إلى أبينا منا ونحنُ عصبةٌ إنا أبانا لفي ضلال مبين ۞ اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخلُ لكم وجهُ أبيكم وتكونوا من بعده قوماً صالحين ﴾ [يوسف:٨-٩] فلا تشعلي نار الغيرة والحقد والحسد بين أبنائك بتفضيل بعضهم على بعض.

بنيتي : المربية في البيت أو في دور الحضانة مهما كانت على علم وتربية ، فهي لا تملك قلب الأم الذي يتدفق محبة على أبنائها، فلا يوجد عندها حرص وصبر الأم، ولقد نتج من إهمال الأم لأبنائها، بتركهم للمربيات ودور الحضانة، وجود جيل تائه ضائع، لا يعرف هويته وما هو هدفه، مبلبل الأفكار، قلق النفس، يميل إلى الانحراف والشذوذ بجميع صوره وأشكاله، فاحذي من إهمال أبنائكِ، فثمن ذلك سيكون غالياً عليكِ، وعليهم، وعلى المجتمع، أسال الله أن يحفظكِ وأبنائك من كل سوء ومروه.

الرسالة التاسعة :

عمل المرأة يكون داخل بيتها وخارجه، وما كان في خارجه فبضوابط وحدود

بُنيتي : من صور تكريم الإسلام للمرأة أن أوجب نفقتها على وليها، فهي إذا كانت بنتاً فوالدها أو من يقوم مقامه من أقربائها يقوم بالإنفاق عليها، فإذا تزوجت فالزوج هو المنفق عليها، فهي ليست بحاجة للعمل خارج المنزل من أجل المال، أما غير المسلمة فتجبر على الخروج من المنزل للعمل، فالبنت إذا بلغت ثمانية عشر عاماً لا يجب على والدها الإنفاق عليها، فعليها أن تخرج لتبحث عن عمل تعيش منه، وتدخر مبلغاً يكون مهراً لزواجها، لأنها هي التي تدفع المهر وليس الزوج، وإذا تزوجت فالزوج ليس ملزم بالإنفاق عليها، وعليها أن تشاركه في نفقات البيت والأولاد، فإذا كبرت وشاخت وكانت قادرة على الكسب وجب عليها أن تستمر في العمل لكسب قوتها ولو كان أبنائها من أغنى الناس، هذا يا بُنيتي سبب خروج المرأة غير المسلمة للعمل خارج البيت، فهي إذا لم تخرج من المنزل وتعمل خارجه ماتت جوعاً.

بُنيتي : الأصل في عمل المرأة أن يكون داخل بيتها، ورحم الله علماء المسلمين الذين أدركوا هذه الحقيقية مُبكراً، فقد بوب الإمام البخاري رحمه الله في كتابه الصحيح : "باب عمل المرأة في بيت زوجها " وأكبر أغلى وأثمن تنمية تقدمها المرأة لمجتمعها أن تعمل داخل منزلها، فتتفرغ للأمومة وأعبائها، وتربي صغارها وتحن عليهم، وتُربيهم ليكونوا أناساً أسوياء ينفعون أنفسهم ومجتمعهم وأمتهم، فإن هي خرجت للعمل خارج المنزل ولم تستطع الموازنة بين عملها وبين بيتها وأطفالها، ترتب على ذلك : تفكك الأسرة مما ينذر بخطر عظيم، فهي قد تكسب بعض المال من عملها، لكنها في الوقت نفسه تهدم دعائم بيتها، ومن وراء ذلك دعائم المجتمع وبنيانه.

بُنيتي : يمكن للمرأة إذا احتاجت للمال أن تعمل داخل منزلها، في الأشياء التي تحسنها من طبخ وخرز وخياطة وحياكة ونحوها، فهي بهذا تحصل على ما تحتاجه من مال وتتجنب أضرار العمل خارج المنزل، وتستطيع كذلك بعون الله لها أن توفق بين عملها وبيتها وزوجها وأولادها، وقد كانت أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها، امرأة صناعة باليد، وكانت تدبغ وتخرز.

بُنيتي : إذا احتاجت المرأة المسلمة للمال بأن لم تجد من يكفلها من والد أو زوج أو أقرباء، ولم تتمكن من العمل داخل المنزل، خرجت للعمل خارج البيت، قال الله عز وجل : ﴿ ولما ورد ماء مدين وجد عليه أُمةً من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذُودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يُصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير ﴾ [القصص:٢٣] لما سأل نبي الله موسى عليه السلام الفتاتين عن سبب خروجهما للرعي والسقي ؟ أجابتا : أنه لا يوجد لديهما رجل يقوم بهذه المهمة، فأبوهما شيخ كبير لا يقوى على هذا العمل، فالفتاتين لم تخرجا إلا مضطرتين للعمل.

بُنيتي : عندما خرجت الفتاتين التزمتا بآداب وضوابط خروج المرأة للعمل ومن أهمها : بعدهما عن مزاحمة الرجال وتجنب الاختلاط بهم، لقد تحاشتا الاقتراب من الرجال الأجانب، وانتظرتا طويلاً عند الماء إلى أن انتهى الرعاة من السقي.

وعندما احتاجتا لمخاطبة رجل أجنبي عنهما اقتصرتا على المهم من الكلام، ولم تسترسلا معه لغير ضرورة : ﴿ قالتا لا نسقي حتى يُصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير ﴾ وقد خاطبته إحدهما بحياء، وبأدب، وبأقصر لفظ وأوجزه، فقالت : ﴿ إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا ﴾ [القصص:٢٥] أسندت الدعوة إلى والداها وعللتها بالجزاء لئلا يوهم كلامها ريبة، وهذا يا بُنية طبع الفتاة العفيفة.

وقد التزمت بالوقار والحشمة في المشية، قال الله عز وجل : ﴿ فجاءته إحداهما تمشي على استحياء ﴾ [القصص:٢٥] جاءته تمشي بحياء، مستترة بكم درعها.

هذه يا بُنية : من أهم آداب خروج المرأة إلى العمل : الحياء، والبعد عن مخالطة الرجال، وعدم الخضوع معهم بالقول، والحجاب والستر، متى ما أخذت بها من اضطرتها ظروفها للخروج للعمل سلمت بحفظ الله لها من كل شر ومكروه.

بُنيتي : المرأة إذا خرجت للعمل لحاجة ثم زالت هذه الحاجة، فالأفضل أن ترجع لعشها الأمن، ومستقرها الهادئ " بيتها " قال الله عز وجل : ﴿ قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين ﴾ [القصص:٢٦] لقد طلبت إحدى الفتاتين من والداهما أن يستأجر موسى عليه السلام لرعاية الماشية بدلاً منهما، فهو عمل غير مناسب لهما، لأنه يعرضهما للاختلاط بالرجال، والمرأة العفيفة الحيية أحبُّ شيءٍ إليها ما يجنبها الاختلاط بالرجال الأجانب، ويفهم من طلبها هذا كراهيتها للخروج، ورغبتها في البقاء في البيت، ما دام أنه وجد من سيقوم بالعمل بدلاً عنها.

بنيتي : المرأة التي خرجت للعمل خارج بيتها، تعاني كثيراً، حتى أنها تصيح الآن بأعلى صوتها تريد العودة لبيتها، بعد أن رأت بأم عينيها أنها ظُلمت في هذا العمل، فهي تعمل ساعات كثيرة، في أعمال منهكة لصحتها، ومدمرة لنفسيتها، بأجورٍ زهيدة، كما أنها تساوم على شرفها وعرضها، حتى يوافق صاحب العمل على تشغليها، وتستمر المساومة معها طيلة فترة عملها، فإن أبت طردت من العمل أو ضُيق عليها.

بُنيتي : إذا احتاجت المرأة للخروج للعمل خارج عشها الأمن، فيجب أن تراعي في عملها الذي ستعمل فيه : تركيبها الفطري، وخصائصها النفسية، وقواها الجسدية، وما اختصت به من أحكام، وضوابط شرعية، فيكون عملها فيما يخصُّ بنات جنسها.

كالمدارس والجامعات والمستشفيات النسائية، وأن لا يؤثر عملها على مهمتها الأساسية ووظيفتها الأولى : بيتها، وزوجها، وأبنائها، وأن يكون العمل بإذن وليها، فإن أُهملت هذه الأمور فقد جنت على نفسها في دينها أو دنياها أو فيهما جميعاً.

بُنيتي : إن عملت وكان لك مال من هذا العمل، فكوني طويلة اليدِ، فعن أن المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أسرعكن لحاقاً بي أطولكن يداً) قالت : فكُنَّ يتطاولن أيتهن أطولُ يداً، قالت : فكانت أطولنا يداً زينب لأنها كانت تعملُ بيدها وتتصدق.[متفق عليه] فتصدقي بما يتيسر لك من المال كل شهر ولو كان قليلاً، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل ما دام ولو قل، فالصدقة لها فضائل عديدة، وهي من أسباب دفع البلاء، وقاكِ الله من كل بلاء.

بُنيتي : أسال الله الكريم أن لا يحوجكِ ولا يضطرك للعمل خارج عشك الأمن، وبيتكِ الهادئ، الذي يحسُدكِ عليه من يعملن خارج المنزل اللائي مللن الوظيفة، وأصبحن بعد التجربة والمعاناة يتمنين ويفضلن البقاء في البيت لرعاية الزوج وتربية الأطفال.

كما أسأله إن احتجتِ للخروج للعمل أن يكون عملك في مكان نسائي آمن، لا اختلاط فيه بالرجال ولا خلوة معهم، وأن يكون عملاً مباحاً، وألا يستهلك طاقتك وجهدك.

وأسال الكريم أن تزول تلك الحاجة التي جعلتك تخرجين للعمل سريعاً، فتعودين لبيتك المكان التي تجدين فيه : نفسك، وأنوثتك، وأمومتك، وراحتك، وسعادتك.

حفظكِ الله من شياطين الإنس والجن، ومن كل سوء ومكروه.

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
الرسالة الأولى : طاعتك لله ورسوله خير لكِ في دينك سعادة لكِ في آخرتك	٦
الرسالة الثانية : حياؤك زينتك وشعبة من إيمانكِ	٩
الرسالة الثالثة : عفافكِ حياتك فاستمسكي به وحافظي عليه	١٢
الرسالة الرابعة : لا تكوني فتنة للرجال	١٧
الرسالة الخامسة : التشبه بالرجال انحراف عن الفطرة، وطلب المساواة معهم تأباه الشريعة والحكمة	٢٩
الرسالة السادسة : الدراسة لتعلم العلم النافع في الدنيا والآخرة	٣٥
الرسالة السابعة : الزواج استقرار للنفس وراحة للقلب	٣٨
الرسالة الثامنة : الحب والحنان والعدل والدعاء أفضل عطاء لفلذة كبدك	٤٤
الرسالة التاسعة : عمل المرأة يكون داخل بيتها وخارجه، وما كان في خارجه فبضوابط وحدود	٤٧
الفهرس	٥١